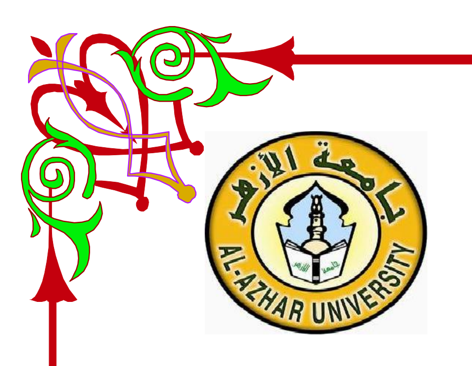


جامعة الأزهر الشريف

المؤتمر العلمي الدولي الأول

لكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بمدينة السادات

الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية
دراسة تأصيلية

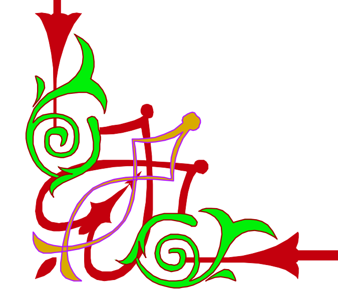
د./ رمضان حميدة محمد أبو علي

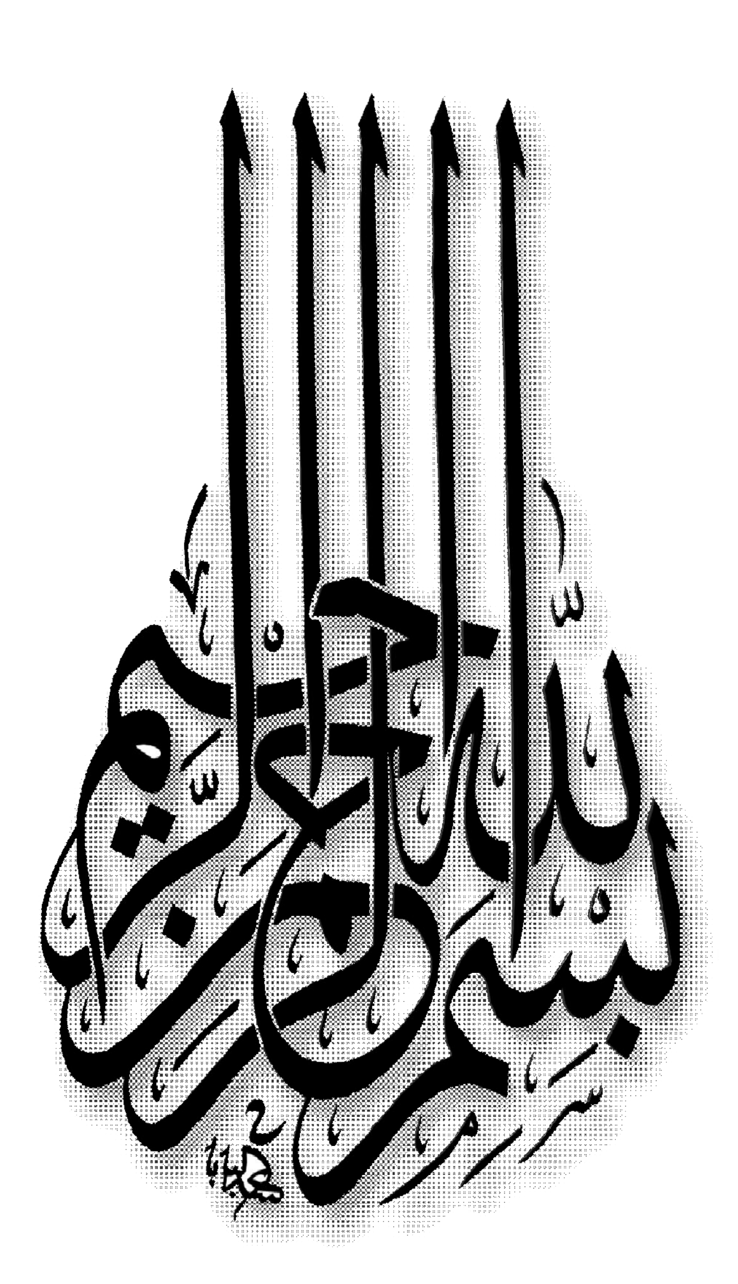
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا . جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: ramadanaboali.85@azhar.edu.eg

٢٠٢١م / ١٤٤٣هـ




بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

دعت الوثائق الأزهرية المعاصرة إلى الحرية الدينية، انطلاقا من الفهم العميق لمقاصد الشريعة الإسلامية، والإدراك الدقيق روح التشريع الدستوري الحديث، والاتصال الوثيق بمقتضيات التقدم المعرفي الإنساني.

ولضمان حماية الحرية الدينية من الانحراف اشترطت الوثائق الأزهرية أن يلتزم الناس الأوامر الإلهية وعدم الإضرار بالنفس أو الاعتداء على الآخرين.

وقد بينت الوثائق الأزهرية عددًا من مظاهر الحرية الدينية، كحرية الاعتقاد الديني، وممارسة الشعائر الدينية، وحماية أماكن العبادة، وحرية المناقشات الدينية.

والمقصد الذي سعت الوثائق الأزهرية إلى تحقيقه من خلال الدعوة إلى الحرية الدينية هو جمع الكلمة وتوحيد الأمة حول المفهوم الصحيح للحرية الدينية، واحترام التعددية ورعاية الاختلاف، وتجريم مظاهر الإكراه في الدين، ورفض نزعات الإقصاء والتكفير.

وقد جاء هذا البحث بقصد التأصيل الشرعي لأسس وضوابط ومظاهر ومقاصد الحرية الدينية الواردة في الوثائق الأزهرية المعاصرة.

ودعا البحث إلى مواكبة الأحداث ورعاية التطورات في تصحيح المفاهيم السائدة وحسن صياغتها في ضوء المنهج الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الحرية الدينية – حرية الاعتقاد – الشعائر الدينية – المناقشات الدينية – الوثائق الأزهرية.

Summary

Religious freedom in the light of Al-Azhar documents – an original study.

Contemporary Al-Azhar documents called for religious freedom, based on a deep understanding of the purposes of Islamic law, accurate awareness of the spirit of modern constitutional legislation, and close contact with the requirements of human knowledge progress.

To ensure the protection of religious freedom from deviation, Al-Azhar documents stipulated that people abide by divine commands and not harm themselves or attack others.

Al-Azhar documents showed a number of aspects of religious freedom, such as the freedom of religious belief, the practice of religious rites, the protection of places of worship, and the freedom of religious discussions.

The purpose that Al-Azhar documents sought to achieve through the call for religious freedom is to gather the word and unite the nation around the correct concept of religious freedom, respect for pluralism and care for difference, criminalizing manifestations of coercion in religion, and rejecting the tendencies of exclusion and atonement.

This research came with the intention of legally rooting the foundations, controls, manifestations, and purposes of religious freedom contained in contemporary Al-Azhar documents.

The research called for keeping pace with events and nurturing developments in correcting prevailing concepts and properly formulating them in the light of the Islamic approach.

Keywords: religious freedom – freedom of belief – religious rituals – religious discussions – Al-Azhar documents.

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد..**

فإن الحرية الدينية من الحقوق الأساسية لكل إنسان، حيث كفلتها الرسالات السماوية، وأقرتها الدساتير الدولية، ونادت بها المنظمات الاجتماعية. وعندما قامت الثورات الشعبية في البلاد العربية في عام ٢٠١١م وما بعدها، برزت العديد من الشعارات، وتعالت الأصوات المنادية بالحرية الدينية، واتجهت الأنظار نحو الأزهر الشريف ترقُبُ ما يصدر عنه من تصحيح المفاهيم وتوجيه الأمة إلى الصراط المستقيم.

وقد حرص الأزهر الشريف على القيام بالأمانة التي تَحَمَّلها والوفاء بالمهمة المنوطة به في بيان المفاهيم الصحيحة التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، من أجل جمع كلمتها، وتوحيد صفها، وحمايتها من الأفكار المنحرفة، التي يسعى لترويجها مَن تحملهم الأهواء الشخصية والمطامع الحزبية على تضليل الناس، من أجل تحقيق أغراضهم. ولهذا أصدر الأزهر الشريف عددا من الوثائق المهمة التي تلبي متطلبات اللحظة الراهنة، وتؤسس للفهم السليم والسلوك القويم. وقد جاء هذا البحث بعنوان: "الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية" لبيان أسس وضوابط ومظاهر ومقاصد الحرية الدينية الواردة في الوثائق الأزهرية، والتأصيل الشرعي لها.

أهمية الموضوع.

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى عدة أمور، من أهمها:

أولا: اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية وعلماء المسلمين بالفهم العميق والتأصيل الدقيق لقضايا الحرية الدينية، حتى لا تقع الأمة الإسلامية فريسة للأفكار المنحرفة والتيارات الضالة.

ثانيا: معالجة موضوع الحرية الدينية لجانب مهم من جوانب الحياة الإنسانية، فالدين أساس لقيام الأمم، وإذا لم يحسن الأفراد فهم أمور الحرية الدينية؛ فإن هذا قد يؤدي إلى إشعال الصراع والنزاع بين أفرادها.

ثالثا: بيان دور الأزهر الشريف في حماية الأمة الإسلامية من الأفكار المنحرفة والمفاهيم المغلوطة التي تتخذ من شعارات الحرية مدخلا إلى التخريب والتدمير.

أسباب اختيار الموضوع.

لقد اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب، من أهمها:

أولا: إحاطة الوثائق الأزهرية بالعديد من الجوانب المهمة حول الحرية الدينية.

ثانيا: الحرص على بيان الرؤية الأزهرية الوسطية للحرية الدينية.

ثالثا: رد العديد من الشبهات المثارة حول الحرية الدينية في الرؤية الإسلامية من خلال الوثائق الأزهرية المعاصرة.

مشكلة البحث.

تكمن المشكلة التي يعالجها هذا البحث في بروز بعض التيارات المنحرفة التي تنادي بالحرية الدينية وفق هواها، بغرض تحقيق مآربها. فأردت في هذا البحث مواجهة هذا الانحراف من خلال الوثائق الأزهرية المعاصرة.

الهدف من الدراسة.

يهدف هذا البحث إلى بيان عدة أمور من أهمها:

أولا: بيان أسس الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

ثانيا: التأكيد على ضوابط الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

ثالثا: رصد بعض مظاهر الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

رابعا: الكشف عن مقاصد دعوة الوثائق الأزهرية إلى الحرية الدينية.

منهجي في البحث.

أولا:المنهج الاستقرائي.[1] ومن خلاله أقوم بجمع الجزئيات الواردة في الوثائق الأزهرية حول الحرية الدينية والوقوف على حقائقها بهدف الوصول إلى رؤيتها الكلية.

ثانيا: المنهج التحليلي.[2] ومن خلاله أقوم بإعادة النصوص التي اعتمدت عليها الوثائق الأزهرية في موضوع الحرية الدينية إلى أساسها الذي انطلقت منه، وإخضاعها للتحليل والتفسير، بقصد الكشف عن حقيقتها والغاية التي تسعى إليها. كما أنه لا غنى لي عن بقية المناهج العلمية.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الحرية الدينية، كما تعددت الدراسات المتعلقة بالوثائق الأزهرية، لكنني لم أجد بحثا مستقلا بعنوان: الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

تقسيم الدراسة.

التمهيد: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

الفصل الأول: أسس الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

الفصل الثاني: ضوابط الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

الفصل الثالث: مظاهر الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

الفصل الرابع: مقاصد الدعوة إلى الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

الخاتمة. وبها أهم النتائج والتوصيات. ثم فهرس الموضوعات.

---

(١) وهو (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا). انظر: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم: د/عوض الله جاد حجازي، صـ:١٨٤، ط/٦، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، د. ت.

(٢) وهو (تحليل الظواهر إلي عناصرها الأولية). انظر: مناهج البحث العلمي: د/ عبد اللطيف العبد، صـ: ١٥، مكتبة النهضة المصرية، د/ ت.

التمهيد:

التعريف بأهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

أولا: **التعريف بالحرية الدينية**.

أ ـ تعريف الحرية.

تدل كلمة الحرية في معاجم اللغة العربية على (ما خالف العبودية وبرئ من العيب والنقص)[١]. كما تطلق على (الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم).[٢]وهي: (حالة يكون عليها الكائن الحيّ الذي لا يخضع لقهر أو قيد أو غلبة ويتصرّف طبقًا لإرادته وطبيعته)[٣]. فالحرية في اللغة العربية تعني: الخلوص من القيود. وهي كلمة مفردة، جمعها: الحريات.

والحرية في الاصطلاح لا تختلف عن المعنى اللغوي، فهي تعني: (الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار)[٤]. وقيل هي: (خلوص حُكمي يظهر في الآدمي لانقطاع حق الغير عنه)[٥]. فالحرية في الاصطلاح هي: الخلوص من القيود المانعة من تحقيق الهدف.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (٢/ ٦)، دار الفكر١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (١/ ١٦٥)، ط/٤، مكتبة الشروق الدولية١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١/ ٤٧٠)، الطبعة الأولى، عالم الكتب ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

(٤) التعريفات: الإمام/ علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، صـ: ٨٦، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: الإمام/ محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د/ علي دحروج، ترجمة: د/ عبد الله الخالدي، (١/ ٦٤١)، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٩٩٦م.

ب ـ تعريف الدين.

يطلق لفظ الدين في اللغة العربية على معان متعددة، منها: الانقياد والطاعة(١). كما يطلق على الحكم والسلطان(٢). ويطلق الدين على: الإسلام(٣)، لقوله تعالى﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٤). والدين: (اسمٌ لجميع ما يتعبَّد به لله، شريعة ومِلَّة)(٥) فكلمة الدِّين (تشير إلى علاقة بين طرفين يُعظِّم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحُكْماً وإلزاماً، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها)(٦). فالدين هو النظام الذي يُلزم أفراده بالانقياد له.

والدين في الاصطلاح: هو (اعتقاد الشيء على ما كان النحو عليه حقا كان أو باطلا)(٧). وهذا تعريف عام يشمل كل ما يعتقده الناس دينا سواء كان حقا أم باطلا. وقيل: الدين هو (هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني، (٢/ ٣١٩).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: الإمام/ محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، (١٨/ ٢١٧)، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت١٤١٤هـ.

(٣) المفردات في غريب القرآن: الإمام/ الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (١/ ٣٢٣)، ط/١، دار القلم، دمشق ١٤١٢هـ.

(٤) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٨٥ .

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عمر، (١/ ٧٩٦).

(٦) الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د/ محمد عبد الله دراز، صـ: ٣١، الطبعة الأولى، دار القلم بالكويت ومطبعة الحرية بيروت، بدون تاريخ.

(٧) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: الإمام/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د/ محمد إبراهيم عبادة، (١/ ٧٤)، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

الصّلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال)[١]. وهذا تعريف يشمل الرسالات السماوية دون غيرها، وهو المراد في هذا البحث.

جـ ـ المراد بالحرية الدينية.

إذا كانت الحرية تعني: الخلوص من القيود، والدين يعني: الانقياد والالتزام بنظام معين؛ فإن الحرية الدينية تعني: (حق الإنسان في اعتقاد أي دين أو مبدأ يميل إلى الاعتقاد به وتصديق أسسه، وعدم إجباره على اعتقاد ما يخالفه، بشرط أن لا تكون المجاهرة به سببا للمس بحريات الآخرين أو الإساءة إليهم)[٢]. وتأسيسا على ما سبق فإن الحرية الدينية تعني: التخلص من القيود التي تجبر الإنسان على الخضوع لدين معين بشرط عدم إلحاق الضر بالنفس أو الغير.

ثانيا: **التعريف بالوثائق الأزهرية**.

أ ـ تعريف الوثائق.

الوثائق جمع وثيقة. وهي: (الإحكام في الأمر، والأخذ بالثقة، والميثاق: من المواثقة والمعاهدة).[٣] فالوثيقة تعني: التحالف والمعاهدة على الإحكام في الأمر.

والوثيقة في الاصطلاح هي: (كل ما يُعتَمَد عليه ويُرجَعُ إليه لإحكام أمر وتثبيته وإعطائه صفة التحقق والتأكد).[٤] فالوثيقة هي التحالف والمعاهدة على أمر يُعتَمَد عليه ويُرجَعُ إليه.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: الإمام/ التهانوي، (١/ ٨١٤).

(٢) الموجز في الحقوق في الإسلام: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، صد: ٦١ ، مؤسسة آل البيت عمّان ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

(٣) لسان العرب: للإمام/ محمد بن مكرم بن منظور، (١٠/ ٣٧١)، ط/٣، طبعة دار صادر بيروت ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

(٤) قاموس مصطلحات الوثائق والأرشيف: د/ سلوى علي ميلاد، صد: ٦٨، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٢م.

ب ـ التعريف بالأزهر الشريف

الأزهر الشريف هو الجامع الأزهر بمصر، (الذي أنشأه جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله"، وشرع في بنائه يوم السبت لست بقين من شهر جمادى الأول سنة ٣٥٩هـ– ٩٧٠م، وكمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ– ٢٢ يونيو ٩٧٢م.. وقد اتُّخِذ الأزهر أول ما أنشئ مسجدا لعبادة الله، والدعاية للفاطميين ودولتهم، ثم عقدت في جنباته حلقات الدروس العامة، فكان الأساتذة يجلسون لإلقاء دروسهم على كل من يحضرها في الفقه واللغة والأدب والمنطق والطبيعيات والرياضيات. وظل الجامع الأزهر مثابة لحلقات الدروس حتى تحول إلى دراسة جامعية مستقرة).[١]

جـ ـ المراد بالوثائق الأزهرية في هذا البحث.

هي تلك الوثائق التي أصدرها الأزهر الشريف بعد ثورة المصريين في الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١م الموافق ٢١ من شهر صفر ١٤٣٢هـ، حتى شهر يناير عام٢٠٢٠م. وهذه عناوينها وتاريخ صدورها[٢]:

وثيقة مستقبل مصر، الصادرة في يونيو ٢٠١١م.

وثيقة دعم إرادة الشعوب، الصادرة في نوفمبر ٢٠١١م.

وثيقة الأزهر لنصرة القدس، الصادرة في نوفمبر ٢٠١١م.

وثيقة الأزهر للحريات، الصادرة في يناير ٢٠١٢م.

وثيقة الأزهر لنبذ العنف، الصادرة في يناير ٢٠١٣م.

وثيقة الأزهر لحقوق المرأة، الصادرة في يونيو ٢٠١٣م.

وثيقة الأزهر للمواطنة والعيش المشترك، الصادرة في مارس ٢٠١٧م.

وثيقة الأزهر للسلام العالمي ، الصادرة في أبريل ٢٠١٧م.

---

(١) الأزهر في ألف عام: د/ محمد عبدالمنعم خفاجي، (١/ ٢٧) وما بعدها باختصار، الطبعة الثانية، عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: بوابة الأزهر الإليكترونية: https://www.azhar.eg

وثيقة الأخوة الإنسانية، الصادرة في فبراير ٢٠١٩م.

وثيقة الأزهر للتجديد في العلوم الإسلامية، الصادرة في يناير ٢٠٢٠م.

ثالثا: المقصود بالدراسة التأصيلية.

يطلق لفظ الدراسة على معان كثيرة، منها: تتبع القراءة. (وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه).(١) ويقال: (درست الكتاب أي قرأته. ومنه قوله تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ (٢) أي قرأتَ كتب أهل الكتاب. ودرستُ الكتاب أدرسه درساً أي ذللته بكثرة القراءة).(٣) فالدراسة هي تكرار القراءة بقصد الوصول إلى غاية.

أما التأصيلية فالمراد منها هنا: (ردّ الأمر إلى أصله الشرعي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو موقف السلف الصالح رضي الله عنهم منه).(٤)

فالدراسة التأصيلية تعني قراءة النصوص المعاصرة في ضوء الأساس الذي ارتكزت عليه وانطلقت منه. ويمكن أن يقال: إن الدراسة التأصيلية تعني: رد الأقوال إلى أصلها الذي تأسست عليه وانطلقت منه.

المعنى المراد من عنوان البحث.

لقد جاء هذا البحث بعنوان: الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية – دراسة تأصيلية. والمعنى المراد منه هو: التأصيل الشرعي للحرية الدينية الواردة في الوثائق التي أصدرها الأزهر الشريف في الفترة بين ٢٠١١م إلى ٢٠٢٠م.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني، (٢/ ٢٦٨).

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٠٥ .

(٣) لسان العرب: الإمام/ ابن منظور، (٦/ ٧٩).

(٤) تأصيل قضايا الدعوة الماهية والأهمية والكيفية: د/ إسماعيل محمد حنفي، صد: ١٧، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ١٣ عام ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

الفصل الأول:

أسس الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

أصدر الأزهر الشريف وثائق متعددة، وأفرد منظومة الحريات الأساسية بوثيقة خاصة، من أجل التأصيل للحرية الدينية وغيرها، (على أساس متين من فهم مقاصد الشريعة الإسلامية، وإدراك روح التشريع الدستوري الحديث، ومقتضيات التقدم المعرفي الإنساني).[١]وفيما يأتي بيان هذه الأسس التي تقوم عليها الحرية الدينية في ضوء وثائق الأزهر الشريف.

المبحث الأول: فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

دعت الشريعة الإسلامية إلى الحرية الدينية، وجعلت لكل فردٍ الحق في اعتناق ما يشاء من الأديان، فلا إكراه على اعتناق الدين في الإسلام، حيث قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [٢] والمراد بـ(الدين في هذه الآية: المعتقد والملة).[٣]وقد أورد المفسرون عددًا من الروايات في سبب نزول هذه الآية، منها: (ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت هذه في الأنصار، تكون المرأة مقلاتا[٤]فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أُجليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا! إنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه، وأما إذا جاء الله بالإسلام فنكرههم عليه، فنزلت الآية... وقال السدي: نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الخروج

(١) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٥٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: الإمام/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (٣/ ٢٧٩)، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

(٤) المقلات: التي لا يعيش لها ولد. لسان العرب: لابن منظور، (٢/ ٧٢).

أتاهم ابنا الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام، فأتى أبوهما رسول الله ﷺ مشتكيًا أمرهما، ورغب في أن يبعث رسول الله ﷺ من يردهما فنزلت﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب).[١] وفي هذا دليل على أنه لا يجوز للمسلم أن يُكرِه أولاده – فضلا عن غيرهم– على الدخول في الإسلام، مهما رغب في ذلك أو أحبه، بل الواجب عليه أن يدعو غيره إلى الإسلام ثم يترك له حرية القبول أو الرفض، حيث قال تعالى﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴿٢٩﴾﴾[٢] فليس على المسلم إلا البلاغ.

والناظر فيما سبق يجد أن الإسلام يضمن الحرية للإنسان في اختيار دينه ويجعله مسؤولا عن قراره، وفيه تأكيد على أن (الشارع متشوف للحرية، واستقراء ذلك واضح من تصرفات الشريعة التي دلت على أن من أهم مقاصدها: إبطال العبودية وتعميم الحرية).[٣] فالحرية أساس التكاليف الشرعية وضمان لتحقيق مقاصدها، فإذا كانت المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية هي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل[٤]؛ فإنها لا تتحقق إلا بالحرية، (فحفظ الدين أساسه عدم الإكراه في الإيمان به، إذ لا إكراه في الدين، وحفظ النفس لا يتحقق إلا بحريتها في التصرف في جميع شئون الحياة بعيدا عن الإكراه والاستعباد، فلا معنى لحياة إنسان مقيد في تصرفاته أو أسير رغبات سيده، وحفظ النسل لا يتحقق إلا بحرية الإنسان في اختيار الشريك الذي يحقق النسب الشريف، وحفظ العقل لا

(١) الجامع لأحكام القرآن: الإمام/ القرطبي، (٣/ ٢٨٠– ٢٨١).

(٢) سورة الكهف، جزء من الآية: ٢٩.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية: الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق/ محمد الطاهر الميساوي، صـ: ٣٩١– ٣٩٢، ط/٢، دار النفائس بالأردن ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة: الإمام/ إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (٢/ ٢٠)، الطبعة الأولى، دار ابن عفان١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.

يتحقق إلا بحرية الاختيار، فهو مناط التكليف وشرط لصحة جميع التصرفات، ويمكن أن يصل الإنسان الذي يقع تحت أي نوع من العبودية أو الاستبداد إلى مرحلة من إهمال العقل والفكر، بسبب العجز عن الإرادة والاختيار، وأما حفظ المال فإنه لا يتحقق إلا بحق الإنسان في التملك وحرية التصرف في أمواله وأملاكه).[(١)] فالحرية أساس تتبني عليه المقاصد الشرعية وضامن لبنائها وحفظها من الضياع.

من خلال ما سبق يتبين أن أساس دعوة الوثائق الأزهرية إلى الحرية الدينية هو فهم مقاصد الشريعة الإسلامية التي تؤكد أن تحقيق المصالح الكبرى في حياة الناس مرتبط بحريتهم وقدرتهم على اتخاذ القرار بعيدا عن الإكراه والاستعباد.

---

(١) الحرية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية: الباحث/ محمد طه عليان، صـ: ٥٢- ٥٦ باختصار وتصرف شديد، رسالة ماجستير بجامعة القدس – فلسطين ١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م.

المبحث الثاني:

إدراك روح التشريع الدستوري الحديث.

أدرك الأزهر الشريف خطورة المرحلة التي تمر بها مصر وغيرها من البلاد العربية التي قامت فيها الثورات الشعبية، حيث تستلزم تلك الأوضاع القيام بوضع دساتير تقيم السلوك المستقيم على أساس الفهم السليم، كما تسهم في تلبية المطالب التي قامت من أجلها الثورات، ولهذا (جاء موقف الأزهر بهذه الوثائق التي تعبر عن رؤية المؤسسة الدينية بالتعاون مع المثقفين والمفكرين لتلك الحريات، لتكون أساسا للدستور الجديد؛ انطلاقا من متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة، وحفاظا على جوهر التوافق المجتمعي، ومراعاة للصالح العام في مرحلة التحول الديمقراطي، حتى تنتقل الأمّة إلى بناء مؤسساتها الدّستورية بسلامٍ، واعتدال، وتوفيقٍ من الله تعالى).[١]

وقد ارتكزت الدعوة الأزهرية إلى الحرية الدينية على التشريعات الدستورية المستقرة التي أعلنت عن أحقية الإنسان في ممارسة حرياته المتنوعة، ومنها الحرية الدينية، فقد اهتمت الدساتير الدولية بالتأكيد على الحرية الدينية، حيث (ظهر في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها وثائق حقوق الإنسان عام ١٧٨٧م، وكانت كرد فعل للمخازي المؤلمة في العهود البائدة، ومحو العار الذي كان سائدا، وخاصة في الاضطهاد الديني وامتهان الحريات الشخصية... ثم جاءت المؤسسات الدولية في القرن العشرين فأعلنت حقوق الإنسان سنة ١٩١٩م في عصبة الأمم وفي سنة ١٩٤١م في ميثاق الأطلسي، ثم في ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥م، ومن خلاله صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م، وتضمن هذا الإعلان في المادة الثامنة عشرة منه، أن لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته،

---

(١) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

وحرية الإعراب عنها بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها، سواء أكان ذلك سرًا أم مع الجماعة).[1] وفي هذا دليل على أن الحرية الدينية التي دعت إليها الدساتير الدولية قد ظهرت كرد فعل للممارسات السلبية الناتجة عن المفاهيم الخاطئة، ولهذا جاء موقف الأزهر الشريف مدركاً للواقع الذي تحياه الأمة، وملبياً لمتطلباتها، وحريصاً على مصلحتها، وذلك من خلال جمع العلماء والمفكرين للتباحث حول المفهوم الصحيح للحريات والسبل القويمة لتطبيقها، من أجل حماية الأمة الإسلامية من الأفكار المنحرفة والمفاهيم المغلوطة.

(١) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها: أ. د/ محمد الزحيلي، صـ: ٣٨٠-٣٨١ باختصار، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد: ٢٧، العدد الأول ٢٠١١م.

المبحث الثالث:

العمل بمقتضيات التقدم المعرفي الإنساني.

شهد العصر الحديث تقدما علمياً وتكنولوجياً كبيراً، مما أدى إلى زيادة المعرفة الإنسانية بسرعة مذهلة، حيث يمكن للإنسان أن يستدعي ما شاء من المعلومات والمعارف في وقت ضئيل من الزمن، من خلال شبكات التواصل الدولية، كما يمكن له أن يتفاعل مع الآخرين من غير اعتبار لحواجز البلاد وتباعد المسافات. وقد نتج عن هذا التقدم أن كثيرًا من جوانب حياتنا أصبح مرتبطا بهذه الثورة التكنولوجية، ومن هنا أصبح لزاماً على العلماء والدعاة والقادة أن يحسنوا التعامل مع هذه الأدوات المعاصرة، وأن يصوغوا أفكارهم بصورة تتناسب مع التقدم المعرفي الإنساني. وقد أدرك الأزهر الشريف هذا التقدم المعرفي حين أعلن في وثائقه المعاصرة أن دعوته إلى الحرية الدينية والأخوة الإنسانية نابعة من إدراكه للواقع الجديد وما نتج عنه من حروب وصراعات، ففي وثيقة الأخوة الإنسانية تأكيد على أن هذا (الإعلان يأتي انطلاقًا من تأملٍ عميقٍ لواقعِ عالَمِنا المعاصرِ وتقديرِ نجاحاتِه ومعايشةِ آلامِه ومَآسيهِ وكوارثِه).[1]كما دعت الوثائق الأزهرية إلى معالجة الآثار السلبية الناتجة عن الانتشار السريع للمعارف والمفاهيم المغلوطة، حيث أشيع أن الإرهاب مرتبط بالأديان!، وهنا: أعلن الأزهر الشريف تبرئة الأديان من الإرهاب، كما دعا إلى النزول بمبادئ الأديان وأخلاقياتها إلى هذا الواقع المضطرب.[2]كما أعلنت وثيقة الأخوة الإنسانية أن (الأديان لم تكن أبدًا بريدًا للحروب أو باعثة لمشاعر الكراهية والعداء والتعصب، أو مثيرة للعنف وإراقة الدماء، فهذه المآسي حصيلة الانحراف عن التعاليم

(١) وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك: صـ: ٨، هدية هيئة كبار العلماء مع مجلة الأزهر الشريف، شهر رجب ١٤٤٠هـ = مارس ٢٠١٩م.

(٢) إعلان الأزهر للمواطنة والعيش المشترك: https://www.azhar.eg

الدينية).[١] فالآلام التي تعاني منها البشرية اليوم ليست وليدة التمسك بالتعاليم الدينية؛ بل إن (أهمّ أسباب أزمة العالم اليوم يعود إلى تغييب الضمير الإنساني وإقصاء الأخلاق الدينية، وكذلك استدعاء النزعة الفردية والفلسفات المادية، التي تؤله الإنسان، وتضع القيم المادية الدنيوية موضع المبادئ العليا والمتسامية).[٢] فلا ينبغي أن تتخلى البشرية عن التعاليم الدينية أو تتهمها بصناعة القطيعة الحضارية، بل عليها أن تتمسك بالصحيح من القيم والشرائع الإلهية.

وهكذا يراعي الأزهر الشريف واقع الأمة ويعالج قضاياها ويلتزم بصياغة المفاهيم السائدة بصورة عصرية تتناسب مع التقدم المعرفي الإنساني ويحرص على نشرها باستخدام الأدوات المعاصرة حرصا على أداء واجبه في ضبط مسيرة الأمة من خلال الفهم السليم والسلوك المستقيم.

---

(١) وثيقة الأخوة الإنسانية، صـ: ١٠.

(٢) المصدر السابق، صـ: ٨ بتصرف.

الفصل الثاني:

ضوابط الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

لقد بيَّنت الوثائق الأزهرية أن الإسلام كفل حرية الإنسان ودعا إليها، لكنه لم يُطلِق هذه الحرية ليمارسها الإنسان بلا ضابط أو حاكم، حتى لا تتحول إلى فوضى مهلكة، بل ضبطها بالقيم والأحكام التي تسهم في تحقيق الخير منها ومنع الشر بسبب سوء استخدامها، وقد جاء ذلك في وثيقة الأزهر الشريف المتعلقة بمنظومة الحريات الأساسية، حيث أعلنت الوثيقة (أن كل فرد في المجتمع له أن يعتنق من المبادئ ما يشاء، دون أن ينقص ذلك من أهليته باعتباره مواطنًا حرًا مسؤولا عن تصرفاته ودون أن يمس حق أحد في الحفاظ على عقيدته. فللرسالات الإلهية قداستها، وللأفراد حريّة الاختيار دون عدوان على مشاعر بعضهم أو مساس بحرمتها قولاً أو فعلاً).[١]وفي هذا بيان لبعض ضوابط الحرية الدينية، ومنها: الالتزام بالأوامر الإلهية، وعدم الإضرار بالنفس، وعدم الاعتداء على الآخرين. وفيما يأتي بيان هذه الضوابط:

المبحث الأول: **الالتزام بالأوامر الإلهية**.

أكدت الوثائق الأزهرية على ضرورة الالتزام بالأوامر الإلهية، وعدم الاقتراب من المحرمات، فالحرية الدينية لا تعني الانفلات من الأوامر الشرعية أو التمرد عليها؛ وإنما تعني (أن يفعل الإنسان ما يعتقد أنه مكلّف به، وما فيه الخير لصالح البشر أجمعين).[٢]أما أن يعيش الإنسان معتقدا أنه غير مكلف بشيء وأنه يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء؛ فإن هذا الأمر لا يُعَدّ حرية، وإنما هو انسياق وراء الشهوات وعبودية للأهواء والملذات، والحرية ليست وسيلة لإرضاء الشهوات

(١) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: الأستاذ/ علال الفاسي، صـ: ٢٤٨، الطبعة الخامسة، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م.

وتحقيق الرغبات، بل هي القدرة على الانفكاك من كل مظاهر الأسر واختيار طريق الهداية والاستقامة عليه. وقد ربى النبي ﷺ أصحابه على هذا المنهج، حتى جاء إليه أحدهم قائلا: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: " قل: آمنت بالله ثم استقم".[١]فقد جاء الصحابي الجليل إلى رسول الله ﷺ راغبًا في التحرر من كل الأقوال إلا ما يقوله الإسلام، كما رغب في التحرر من سؤال جميع الناس إلا رسول الله ﷺ، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أرشده إلى سبيل الحرية الحقيقية وهو الإيمان بالله تعالى والاستقامة على طريقه.

وفي النصرانية يؤكد الكتاب المقدس أن الطريق إلى الحرية الحقيقية هو الالتزام بالأوامر الإلهية والثبات عليها، حيث (قال يسوع للذين آمنوا به من اليهود: "إذا ثبتم في كلامي؛ صرتم في الحقيقة تلاميذي، تعرفون الحق، والحق يحرركم).[٢]وفيه أيضا توجيه إلى عدم استغلال الحرية في السعي وراء الشهوات، حيث قال: (فأنتم يا إخوتي دعاكم الله لتكونوا أحرارا، لكن لا تجعلوا هذه الحرية حجة لإرضاء شهوات الجسد).[٣] وفيه أيضا: (كونوا أحرارا، ولكن لا تكونوا كمن يجعل الحرية ستارا للشر، بل كعبيد لله).[٤]

من خلال ما سبق يتبين أن ضبط الحرية الدينية مرهون بالتزام الأوامر الإلهية، وعدم الانسياق وراء الشهوات الجسدية.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، (١/ ٦٥ رقم ٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ. انظر: صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: الإمام/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.

(٢) الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا: ٨/ ٣١- ٣٢. ط/٤، جمعية الكتاب المقدس لبنان ١٩٩٥م.

(٣) رسالة بولس إلى كنائس غلاطية ٥/ ١٣.

(٤) رسالة بطرس الأولى: ٢/ ١٦.

المبحث الثاني:

عدم الإضرار بالنفس.

من الضوابط المهمة للحرية الدينية أن يحرص الإنسان على حماية نفسه من الضرر، فلا يجعل من حريته وسيلةً إلى الإضرار بنفسه، فقد نهى الإسلام عن أذية المرء نفسه، حيث قال تعالى﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ﴾ [1]. وقال أيضا﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [2]. ومن الأمثلة التي تبين أن بعض الناس قد يتخذ من الحرية الدينية وسيلة إلى الإضرار بنفسه أن يشدد على نفسه في العبادة حتى يتسبب في الإضرار ببدنه، وقد حذر النبي ﷺ من هذا الأمر، حين قال لعبد الله بن عمرو: "ألم أُخبَر أنك تقوم الليل وتصوم النهار"، قال عبدالله: إني أفعل ذلك. قال ﷺ: "فإنك إذا فعلت ذلك هجَمَت عينُك ونَفِهَت نفسُك، وإن لنفسك حقا ولأهلك حقا فصم وأَفْطِر وقُم ونَمْ".[3] ومعنى قوله: (هجمت عينك أي غارت وضعف بصرها لكثرة السهر، وقوله: نفهت نفسك أي أعيت وكلّت).[4] وفي الحديث دلالة على أن الحرية في فعل الطاعات والاجتهاد فيها يجب أن تنضبط بالمحافظة على النفس وإعطائها ما تحتاج إليه من الضرورات البشرية وعدم تكليفها بما لا يطاق، استجابة لقول النبي ﷺ: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ١٩٥.

(٢) سورة النساء، جزء من الآية: ٢٩.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، (١/ ٣٨٧ رقم ١١٠٢)، انظر: صحيح البخاري= الجامع الصحيح المختصر: الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٣/ ٣٨)، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل».[١] ففي الحديث (حثٌ على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق. وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحا فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم).[٢] فلا ينبغي للمسلم أن يتشدد في العبادة بدعوى الحرية، لأن في تقييد هذه الحرية بالاعتدال حماية لنفسه من الأذى وكفالة لحريته في إمكانية المداومة على أداء ما يرغب في أدائه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (١/ ٥٤٠ رقم ٧٨٢) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام/ محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (٦/ ٧٠)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٢هـ.

المبحث الثالث:

عدم الإضرار بالآخرين.

إذا كان الإسلام قد نهى المسلم أن يستخدم حريته في الإضرار بنفسه؛ فقد نهاه أيضا عن الإضرار بغيره، فالحرية الممنوحة للفرد لا ينبغي أن تصطدم بحرية الآخرين، إذ ليس من حق الفرد أن تؤدي حريته إلى الإضرار بالمجتمع من حوله، حيث قال النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».(١) والمعنى: (لا ضرر: أي لا يضر الرجل أخاه فينقصه شيئا من حقه، ولا ضرار: أي لا يجازي من ضره بإدخال الضرر عليه بل يعفو).(٢)فلا ينبغي للإنسان أن يبدأ بالضرر كما لا ينبغي له أن يرد الضرر بالضرر، لأن هذا من شأنه أن يشيع المضار بين الناس، مما يؤدي إلى حرمان المجتمع من الأمن والسلام، وذلك بسبب استخدام الحرية الفردية في أذية الناس، (فحرية الفرد تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين، والإسلام لم يمنح الحرية للفرد على حساب حرية باقي الأفراد، كما أن الإسلام منع التعارض بين كلا الحريتين: حرية الفرد وحرية الجماعة، ووازن بين كلا الطرفين، فأعطى كلًا منهما حقه، واصطدام حرية الفرد بحرية الآخرين له نتائجه السلبية، ومن أهمها: أنه يؤدي إلى تناقض في المنظومة الاجتماعية لدرجة تفسخ هذه المنظومة وانحلالها تحت مطرقة الاعتداء على القيم والمثل الاجتماعية والأخلاقية باسم حرية ممارسة

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، أبواب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، (٣/ ٤٣٠ رقم ٢٣٤٠)، عن عبادة بن الصامت ﷺ، وقال محققه: صحيح لغيره. انظر: سنن ابن ماجه: الإمام/ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: الإمام/ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، (٦/ ٤٣١ رقم ٩٨٩٩)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٦هـ.

أي فعل، فالحرية لا تعني البتة التحرر من كل قيد لأن ذلك هو عين الفوضى لا الحرية).[١]إذ الحرية الحقيقية هي التي تنشر الحق والخير وتمنع الأذى والشر.

والخلاصة أن الوثائق الأزهرية المعاصرة قد دعت إلى الحرية الدينية الملتزمة بالأوامر الإلهية والمتحررة من الشهوات الإنسانية والمانعة من إلحاق الضرر بالنفس أو الغير.

(١) الحرية الدينية في الإسلام بين الشريعة والعقيدة: د/ نصر محمد الكيلاني، صد: ١٦٨، العدد الثاني، مجلة كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

الفصل الثالث:

مظاهر الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

تعددت مظاهر الحرية الدينية التي دعت إليها الوثائق الأزهرية المعاصرة، حيث شملت حرية الاعتقاد الديني، وممارسة الشعائر الدينية، وحرية المناقشات الدينية وحماية دور العبادة. ويتبين هذا فيما يأتي:

المبحث الأول: حرية الاعتقاد الديني.

أكدت الوثائق الأزهرية على حرية الاعتقاد الديني، حيث لا يجوز لمسلم أن يُرغم أحدا على ترك دينه والدخول في الإسلام، كما لا يجوز لغير المسلم أن يمارس الضغوط التي تُجبِر المسلمَ على ترك دينه، فحرية الاعتقاد الديني مكفولة للجميع على السواء، إذ (الحرية حقٌّ لكلِّ إنسان اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا وممارسةً).[١]

وعندما صاغ الأزهر الشريف وثيقة الحريات الأساسية بدأها بحرية الاعتقاد الديني، لأهميتها في بناء الفكر السليم وضرورتها لتحقيق السلوك القويم، حيث (تُعتَبر حريّةُ العقيدة وما يرتبط بها من حقِّ المواطنة الكاملة للجميع، القائم على المساوة التامة في الحقوق والواجبات حجر الزّاوية في البناء المجتمعي).[٢] فلا يجوز الانتقاص من حق المواطنة بسبب الاعتقاد، لأن المجتمع الإسلامي مفتوح لكل أفراده من جميع العقائد والأجناس والألوان بشرط إعلان الطاعة للدولة الإسلامية والالتزام بدستورها العام، (فلكلِّ فردٍ في المجتمع أن يعتنق من المبادئ ما يشاء، دون أن يمس حق أحد في الحفاظ على عقيدته).[٣] وفي هذا دعوة إلى حماية المجتمع من الفوضى من غير إخلال بحرية الأفراد في الاعتقاد وحمايتها من أي اعتداء، حيث إن (المنهج الإسلامي يقرر أن أهل كل حضارة يعتنقون من

---

(١) وثيقة الأخوة الإنسانية، صـ: ١١: ١٢.

(٢) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

(٣) المصدر السابق، بتصرف.

العقائد ما شاءوا من غير حرج، ولا إرهاق نفسي، بل إن الإسلام قد ذهب به احترامه للحرية إلى حماية العقيدة الدينية لمخالفيه من أن يُعتدى عليها).[١] ففي التطبيقات الإسلامية المتتابعة نجد أن النظام الإسلامي يكفل لأتباعه جميعا حرية اختيار دينهم وممارسة شعائرهم، فقد (كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم.. إلا من ظلم وأثم)[٢]، كما فعل ذلك أيضا سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ في عهد منه لنصارى نجرانببلاد اليمن[٣]، وكذلك سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في عهد منه لأهل إيلياء ببيت المقدس[٤]،وعندما فتح المسلمون مصر (قرر سيدنا عمرو بن العاص ﷺ أن يمحو كل آثار الضغط والإكراه عن أهل مصر الأقباط الذين تعرضوا لضغوطات شديدة من الروم بسبب مخالفتهم في المذهب الكنسي، فأرسل عمرو رسالة إلى البطريك القبطي "بنيامين" يدعوه فيها للعودة إلى كنيسته بعد أن بقي متخفيا لفترة طويلة من الزمن، حيث استقبله عمرو بكل حفاوة ومنحه صلاحية إدارة شئون طائفته).[٥]وقد عبر المسيحيون عن شكرهم وتقديرهم للمسلمين الفاتحين بسبب تقريرهم حرية الاعتقاد الديني قائلين: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية

---

(١) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: الإمام/ محمد أبو زهرة، صـ: ٥٢ بتصرف، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع بالرياض ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

(٢) السيرة النبوية: الإمام/ عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (١/ ٥٠١ – ٥٠٣ باختصار)، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله الحيدر آبادى، صـ: ١٧٦، الطبعة الرابعة، دار النفائس ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

(٤) المصدر السابق، صـ: ٤٨٨.

(٥) الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني: حسن الزين، صـ: ٥٧، دار الفكر الحديث بيروت ١٩٨٨م.

علينا).[1] وهكذا سار الخلفاء عبر العصور يقررون حرية الاعتقاد الديني، فيتركون أهل كل دين وما يدينون، ويحترمون عقائدهم.

والخلاصة أن حرية الاعتقاد الديني تتمثل في أحقية كل فرد في اعتناق ما يشاء من العقائد وحمايته بشرط المحافظة على النظام العام للدولة الإسلامية.

(١) الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث: عبدالمنعم بركة، صـ: ١٨٦، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٩٠م.

المبحث الثاني:

حرية ممارسة الشعائر الدينية.

لم تقتصر الوثائق الأزهرية المعاصرة في بيان مظاهر الحرية الدينية على حرية الاعتقاد؛ وإنما أكدت على حرية ممارسة الشعائر الدينية،[١] فلكل فرد في المجتمع أن يعتقد ما يشاء وأن يمارس شعائره الدينية بكل حرية بشرط ألا يؤدي ذلك إلى اضطراب في المجتمع الذي يعيش فيه، ففي وثيقة الحريات الأساسية دعوة إلى (وجوب احترام المعتقدات والشعائر الدينية وعدم المساس بها).[٢] وفي وثيقة مستقبل مصر تأكيد على (ضمان الممارسة الحرة لجميع الشعائر الدينية دون أية معوقات، واحترام جميع مظاهر العبادة بمختلف أشكالها، دون تسفيه لثقافة الشعب، أو تشويه لتقاليده الأصيلة).[٣]وتأسيسا على ما سبق فإن الأصل في الحرية الدينية أن تضمن الدولة لأفرادها حق ممارسة شعائرهم بأن تتخذ من التدابير اللازمة ما يحقق ذلك حتى لا تتحول الحرية إلى فوضى من شأنها أن تهدد أمن المجتمع وسلامته.

وقد ارتكزت الوثائق الأزهرية في تقرير هذا المظهر على التطبيقات الإسلامية التي كفلت حرية الممارسة للشعائر الدينية، حيث سمح الرسول ﷺ لوفد نصارى نجران بإقامة صلاتهم في مسجده، فقد «دخل على النبي ﷺ وفد نجران بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس

---

(١) الشعائر الدينية هي الممارسات الفعلية أو القولية التي يؤديها أصحاب الملل الدينية بغية التقرب من الذي يؤمنون به ويعتقدون فيه. انظر: الجرائم الماسة بحرية التعبير عن الفكر: نوال طارق إبراهيم العبيدي، صـ: ٧٣، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان الأردن ٢٠٠٩م.

(٢) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

(٣) وثيقة مستقبل مصر. انظر: https://www.azhar.eg

منعهم، فقال رسول الله ﷺ: "دعوهم" فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم».[(١)] ويضاف إلى ذلك أن حرية ممارسة الشعائر الدينية في الإسلام ليست مكفولة في وقت السلم فقط، بل في وقت الحرب أيضا، فقد كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: "اخَرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله، من كفر بالله، لاَ تَغْدِروا، ولا تَغُلُّوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا الوِلْدَان، ولا أصحابَ الصَّوامع".[(٢)]كما أوصى سيدنا أبوبكر ﷺ جيش سيدنا أسامة بن زيد ﷺ قائلا: (وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له).[(٣)] وعندما خرجت الجيوش الإسلامية لفتح البلاد، (مرّ سيدنا خالد بن الوليد ببلاد عانات،[(٤)] فخرج إليه أهلها وطلبوا منه الصلح، فصالحهم على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وعلى أن يضربوا نواقيسهم إلا في أوقات الصلوات ويخرجوا صلبانهم في يوم عيدهم، فأعطاهم ذلك).[(٥)]

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام/ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (٣/ ٥٤٩)، ط/ ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار بالكويت ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م. وانظر: السيرة النبوية: لابن هشام، (١/ ٥٤٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، (٣/ ٢١٨ رقم ٢٧٢٨). وقال محققه: إسناده حسن. انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام/ أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني، تحقيق: الشيخ/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، دار الحديث – القاهرة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

(٣) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: الإمام/ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (٣/ ٢٢٧)، الطبعة الثانية، دار التراث – بيروت ١٣٨٧هـ.

(٤) بلدة عراقية، تقع على الشاطئ الغربي لنهر الفرات في محافظة الأنبار، وهي محصورة بين النهر والتلال المرتفعة على ضفته، ولذلك توسعت طولا، وهي من مدن الفرات الجميلة الشهيرة بكثرة بساتينها واعتدال هوائها. انظر: موسوعة المدن والمواقع في العراق: بشير يوسف فرنسيس، (٢/ ٦٧٩)، الطبعة الأولى، نشر شركة إي كتب البريطانية لندن ٢٠١٧م.

(٥) كتاب الخراج: الإمام/ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، صد: ١٤٦، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.

من خلال ما سبق يتبين أن الناس في ظل النظام الإسلامي أحرار في ممارسة الشعائر الدينية ما لم يؤدي ذلك إلى إثارة الفتنة في المجتمع.

المبحث الثالث:

حماية دُور العبادة.

تعتبر الحماية التامة لدُور العبادة من مكملات التصور العام للحرية الدينية، إذ لا يمكن أن تقتصر الحرية الدينية على حرية الاعتقاد وإقامة الشعائر دون حماية للأماكن المخصصة لإقامة الشعائر، ولهذا دعت الوثائق الأزهرية المعاصرة إلى (الحماية التامة والاحترام الكامل لدور العبادة لأتباع الرسالات السماوية)[1]. كما أكدت الوثائق (أن حمايةَ دُور العبادة، من معابدَ وكنائسَ ومساجدَ، واجب تكفله كل الأديان والقيم الإنسانية والمواثيق والأعراف الدولية، وكلُّ محاولة للتعرّضِ لدُورِ العبادة، واستهدافِها بالاعتداءِ أو التفجير أو التهديم، هي خروج صريح عن تعاليم الأديان، وانتهاكٌ واضح للقوانين الدولية)[2].

وقد اعتمدت الوثائق الأزهرية في التأصيل لهذا المظهر على ما تقرر في الإسلام من وجوب الحماية التامة لأماكن إقامة الشعائر الدينية، حيث قال تعالى ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ﴾ [3]. (أي: ولولا أن الله– تعالى– أباح للمؤمنين قتال المشركين، لعاث المشركون في الأرض فسادا، ولهدموا في زمن موسى وعيسى – عليهما السلام– أماكن العبادة الخاصة بأتباعهما، ولهدموا في زمن الرسول ﷺ المساجد التي تقام فيها الصلاة)[4]. والناظر في الآية السابقة يتبين له أن (هذا النص يفيد أمرين: الأول: تمكين أهل كل دين من عبادتهم ببقاء أماكن العبادة لَا

(١) وثيقة مستقبل مصر. انظر: https://www.azhar.eg

(٢) انظر: وثيقة الأخوة الإنسانية، صـ: ١٢.

(٣) سورة الحج، جزء من الآية: ٤٠.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: أ. د/ محمد سيد طنطاوي، (٩/ ٣١٨)، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ١٩٩٨م.

تُهدَم ولا تُمَس. والأمر الثاني: منع هدم معابد أهل الذمة)[١]. فقد أوجب الله تعالى الجهاد من أجل حرية ممارسة الشعائر التعبدية وحماية أماكن العبادة. وفي السنة النبوية وتطبيقات الصحابة الكرام من الأقوال والأفعال والوثائق ما يؤكد على حماية دُور العبادة كما تم بيانه في العنصر السابق، ويضاف إليه قول الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه للفاتحين: «لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار...»[٢]أي حافظوا على أماكن العبادة من أي اعتداء. فالإسلام يضمن لمخالفيه حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، كما لا يسمح بالاعتداء على معابدهم ومقدساتهم، بل يأمر ببذل الأرواح في حمايتها إذا لزم الأمر.

(١) زهرة التفاسير: الإمام/ محمد أبو زهرة، (٩/ ٤٩٩٣)، دار الفكر العربي ١٩٨٧م.

(٢) الأموال: الإمام/ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي، تحقيق: خليل محمد هراس (١/ ١٢٣)، دار الفكر بيروت.

المبحث الرابع:

حرية المناقشات الدينية.

ارتكز النظام الإسلامي في البناء الديني للفرد والأمة على قاعدة الإقناع والاقتناع لا الإكراه والإجبار، ولذلك قرر حرية المناقشات الدينية، حيث أمر الله سبحانه وتعالى الدعاة أن يجادلوا بالتي هي أحسن، فقال﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [1]. وقال أيضا ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [2]. فالإسلام يأمر أتباعه بالدعوة إليه من خلال الحوار بأسلوب حسن، كما فتح المجال أمام المخالفين للدفاع عن عقيدتهم وإقامة الدليل عليها، حيث قال سبحانه ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ [3]. وقال أيضا: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [4]. وقال سبحانه﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ [5] إنه (يُغري الكفار بالمناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم، فيتظاهر جدلا بكونه لا يقطع بأنه على حق وأنهم على باطل).[6]وفي هذا دليل على دعوة الإسلام إلى المناقشة الدينية الحرة، بحيث يبدي كل طرف رأيه ويدلل عليه ويدعو الآخرين إليه، فإذا لم يصل المتحاورون إلى نتيجة فلا مجال للصراع أو النزاع، بل يكتفي كل فريق بما عنده في ظل السلام والوئام، عملا بقوله تعالى﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [7].

---

(١) سورة النحل، جزء من الآية: ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت، جزء من الآية: ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٤٨.

(٤) سورة النمل، جزء من الآية: ٦٤.

(٥) سورة سبأ، جزء من الآية: ٢٤.

(٦) الحرية في الإسلام: د/ علي عبدالواحد وافي، صد: ٦٢ – ٦٣ بتصرف، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨م.

(٧) سورة الكافرون، جزء من الآية: ٦.

والناظر في الوثائق الأزهرية المعاصرة يجد أنها قد اعتمدت على ما تقرر في الشرع الإسلامي من حرية المناقشات الدينية والدعوة إلى تبني ثقافة الحوار الحسن، وتجنب الجدل العقيم[١]، واحتِرام عقائد الآخرين[٢]، والتزام أخلاقيات الحوار، وضرورة اجتناب التكفير والتخوين، واستغلال الدين، واستخدامه لبعث الفُرقة والتنابز والعداء بين المواطنين، مع اعتبار الحث على الفتنة الطائفية والدعوات العنصرية جريمة في حق الوطن[٣]. والخلاصة أن الوثائق الأزهرية قد دعت إلى حرية المناقشات الدينية في ظل أخلاقيات الحوار التي تحفظ الحقوق وتبني الأوطان.

---

(١) وثيقة الأخوة الإنسانية، صـ: ٧- ٨.

(٢) إعلان الأزهر العالمي للسلام. انظر: https://www.azhar.eg

(٣) وثيقة مستقبل مصر. انظر: https://www.azhar.eg

الفصل الرابع:

مقاصد الدعوة إلى الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية.

يسعى الأزهر الشريف من خلال الوثائق الصادرة عنه في مجال الحرية الدينية إلى جمع الكلمة وتوحيد الأمة حول المفهوم الصحيح للحرية الدينية، وتجريم كل مظاهر الإكراه في الدين، واحترام التعددية ورعاية حق الاختلاف، ورفض نزعات الإقصاء والتكفير. وفيما يأتي بيان مقاصد الحرية الدينية في ضوء الوثائق الأزهرية:

المبحث الأول:

جمع الكلمة وتوحيد الأمة حول المفهوم الصحيح للحرية الدينية.

حرص الأزهر الشريف على القيام بالأمانة التي تَحَمَّلها والوفاء بالمهمة المنوطة به في بيان المفاهيم الصحيحة التي تحتاج إليها الأمة، من أجل جمع كلمتها وتوحيد صفها وحمايتها من الأفكار المنحرفة والمفاهيم المغلوطة التي يسعى لترويجها المنحرفون الذين تحملهم الأهواء الشخصية والمطامع الحزبية على تضليل الناس لتحقيق أغراضهم الخبيثة، فعندما قامت الثورات الشعبية ٢٠١١م وما بعدها، برزت العديد من الشعارات وتعالت الأصوات التي تنادي بالحرية، واتجهت الأنظار نحو الأزهر الشريف ترقُبُ ما يصدر عنه من تصحيح المفاهيم وتوجيه الأمة إلى الصراط المستقيم، (ومن هنا فإن مجموعة العلماء الأزهريين وعددًا من المثقّفين المصريّين قد تدارسوا فيما بينهم القواسم الفكرية المشتركة في منظومة الحريات والحقوق الإنسانية، وانتهوا إلى إقرار جملةٍ من المبادئ والضّوابط الحاكمة لها في ضوء اللحظة التاريخية الراهنة، تحافظ على جوهر التوافق المجتمعي، وترعى الصالح العام في مرحلة التحول الديموقراطي، حتى تنتقل الأمّة إلى بناء مؤسساتها الدّستورية بسلامٍ واعتدال وتوفيقٍ من الله تعالى، وبما لا يسمح بانتشار بعض الدعوات المغرضة، التي تتذرع بحجة الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر؛ للتدخل في الحريات العامة والخاصة، الأمر الذي لا يتناسب مع التطور الحضاري والاجتماعي لمصر الحديثة، في الوقت الذي تحتاج فيه البلاد إلى وحدة الكلمة والفهم الوسطي الصحيح للدين والذي هو رسالة الأزهر الدينية ومسئوليته نحو المجتمع والوطن).[١] وفي هذا تأكيد على حرص الأزهر الشريف على التأسيس الحكيم للفهم السليم والسلوك القويم في مجال الحرية الدينية بعيدا عن الأهواء الشخصية والمطامع الحزبية.

(١) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

المبحث الثاني:

تجريم مظاهر الإكراه في الدين.

قصدت الوثائق الأزهرية من بيان الحرية الدينية إلى حماية الأمة من كل مظاهر الإكراه في الدين، من أجل تحقيق الكرامة الإنسانية والمواطنة الاجتماعية. ولهذا دعت وثيقة الأخوة الإنسانية إلى (تجريم إكراه الناس على دين بعينه أو ثقافة محددة، أو فرض أسلوب حضاري لا يقبله الآخر).(١) كما أكدت وثيقة الحريات الأساسية على (تجريم أي مظهر للإكراه في الدين، أو الاضطهاد أو التمييز بسَبَبِه، فلكلِّ فردٍ في المجتمع أن يعتنق من المبادئ ما يشاء، دون أن ينقص ذلك من أهليته باعتباره مواطنًا حرًا مسؤولا عن تصرفاته، ودون أن يمس حق المجتمع في الحفاظ على العقائد السماوية).(٢) وقد اعتمدت الوثائق الأزهرية في هذا الأمر على ما قرره القرآن الكريم في حوار النبي ﷺ مع المشركين، حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ (٣).
(أي: لكم- أيها الكافرون- دينكم وعقيدتكم التي تعتقدونها ولا تتجاوزكم إلى غيركم من المؤمنين الصادقين، فضلا عن رسولهم ومرشدهم ﷺ، ولى ديني وعقيدتي التي هي عقيدة التوحيد، والتي بايعني عليها أتباعي المؤمنون)(٤). فقد حسم النبي ﷺ لهم الأمر في عدم جواز الإكراه على الدين، وأن كل إنسان يمتلك الحرية في اختيار دينه. (فكل فرد حر في أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنى لنفسه من الأفكار ما يريد، حتى ولو كان ما يعتقده أفكارا إلحادية، فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك

---

(١) وثيقة الأخوة الإنسانية، صـ: ١٢.

(٢) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

(٣) سورة الكافرون كاملة.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: أ. د/ محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ٥٢٧).

طالما أنه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه، ولا يؤذي بها أحدًا من الناس. أما إذا حاول نشر هذه الأفكار التي تتناقض مع معتقدات الناس وتتعارض مع قيمهم التي يدينون لها بالولاء، فإنه بذلك يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة بإثارة الفتنة والشكوك في نفوس الناس، وأي إنسان يعتدي على النظام العام للدولة في أي أمة من الأمم يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر في ذلك إلى حد تهمة الخيانة العظمى التي تعاقب عليها معظم الدول بالقتل).[١]وفي هذا دعوة إلى احترام حقوق الناس في اختيار دينهم، وعدم التقليل من أقدارهم والانتقاص من حقوقهم، والكف عن ممارسة الأساليب العدائية ضد المخالفين في الدين، ما لم يسيئوا إلى النظام العام للدولة المسلمة.

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، صـ: ٨٦، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

المبحث الثالث:

احترام التعددية ورعاية حق الاختلاف.

سعت الوثائق الأزهرية إلى التمكين للحرية الدينية في المجتمع حرصا على حماية الأمة الإسلامية من التعصب الأعمى الذي يقود أصحابه إلى التقديس المزعوم والكبر المذموم، ولهذا دعت الوثائق الأزهرية إلى احترام التعددية ورعاية حق الاختلاف بين أبناء المجتمع الواحد، انطلاقا من سنة الاختلاف التي تُعَدّ من الحقائق الكبرى في هذه الحياة، فقد قال تعالى﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [١]، (فالاختلاف طبيعة الحياة، والتنوع الحضاري والثقافي سنة الكون).[٢] وقد أكدت وثيقة الأخوة الإنسانية على هذا المعنى حين صرحت بأن (التعددية والاختلاف في الدين واللون والجنس والعرق واللغة حكمة لمشيئة إلهية قد خلق الله البشر عليها).[٣] فإذا كان الاختلاف بين الناس سنة كونية وفطرة بشرية فإنه يجب علينا (التسليم بمشروعية التعدد، ورعاية حق الاختلاف ووجوب مراعاة كل مواطن مشاعر الآخرين والمساواة الكاملة بينهم على أساسٍ متينٍ من المواطنة والشراكة وتكافؤ الفرص في جميع الحقوق والواجبات).[٤] فلا ينبغي أن يكون اختلاف الدين باعثا للعداء والشحناء، بل ينبغي احترام المخالف ورعاية حقه دون النظر إلى دينه أو مذهبه. ومن الأمثلة التي تثبت احترام الإسلام للتعددية الدينية ورعاية حق الاختلاف ما ثبت عن النبيﷺ من إقرار حق اليهود في المدينة بأنهم يشكلون مع المسلمين أمة واحدة، فقد (كتب رسول الله ﷺ كتابا وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم

---

(١) سورة الروم، جزء من الآية: ٢٢.

(٢)التواصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب: د/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن التويجري، صـ: ١٥، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

(٣) وثيقة الأخوة الإنسانية، صـ: ١١.

(٤) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

وشرط لهم واشترط عليهم. وقال: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم).(١) كما أكد النبيﷺ على احترام التعددية وعدم جواز الاعتداء أو الانتقاص من حقوق المعاهدين، فقال: «ألا من ظلم معاهِدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة».(٢) ففي هذا تهديد ووعيد لمن اتخذ من اختلاف الدين وسيلة إلى ظلم الآخرين أو التعدي عليهم، وفيه دعوة إلى رعاية حق الاختلاف واحترام التعددية الدينية.

(١) السيرة النبوية: الإمام/ عبد الملك بن هشام، (١/ ٥٠١ – ٥٠٣ باختصار).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في الذِّمِّي يُسلِم في بعضِ السنة، أعَليه جزيةٌ؟، (٤/ ٦٥٨ رقم ٣٠٥٢) وقال محققه: إسناده حسن. انظر: سنن أبي داود: الإمام/ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: الشيخ/ شعَيب الأرنؤوط– محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

المبحث الرابع:

رفض نزعات الإقصاء والتكفير

حرصت الوثائق الأزهرية المعاصرة على تقرير الحرية الدينية التي تحمي الأمة من التفرق والنزاع، وتسعى إلى (رفض نزعات الإقصاء والتكفير، وإدانة عقائد الآخرين أو التفتيش في ضمائرهم بهذه العقائد)(١).

فالحرية الدينية تسهم في تعميق احترام الآخر وقبول التعايش معه على أساس المواطنة دون النظر إلى العقيدة الدينية، وإذا أعلن الإنسان عن إيمانه فلا ينبغي التفتيش في ضميره والبحث في نيته، بل يجب قبول الإيمان منه، والتعامل معه على ما ظهر منه من خير.

وقد أعلنت وثيقة الحريات الأساسية(٢) عن استنادها في ذلك إلى ما استقر بين علماء المسلمين من تقاليد سمحة قرّرتها الشريعة في القول النبوي الشريف: "هلا شققتَ عن قلبه"(٣). (ومعناه: أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه)(٤). فعلى المسلم أن يعامل

---

(١) وثيقة الأزهر للحريات. انظر: https://www.azhar.eg

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحديث عن أسامة بن زيد ﷺ قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ". أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (١/ ٩٦ رقم ١٥٨).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام/ محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (٢/ ١٠٤).

الناس بالظاهر، فيقبل منهم ما أعلنوه من الإيمان دون النظر إلى ما تكنه صدورهم.

كما استندت الوثيقة في رفض نزعات الإقصاء والتكفير إلى حمل أقوال الناس على أفضل الوجوه، سعيا إلى الوحدة والائتلاف ومنعًا من الفرقة والاختلاف. مؤكدة أنه: (إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمِلَ على الإيمان ولا يجوز حَمْلُه على الكفر)[١]. فالمسلم لا يحرص على تكفير الناس وإقصائهم، وليس هذا دوره، بل يحرص على هدايتهم ويسعى إلى جمع كلمتهم وتحقيق مصالحهم.

والخلاصة أن الوثائق الأزهرية المعاصرة تدعو إلى الحرية الدينية التي تقبل التعايش، وترفض الإقصاء والتكفير.

(١) الإسلام بين العلم والمدنية: الإمام/ محمد عبده، صد: ٨٣، دار كلمات للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١١م.

الخاتمة

أولا: النتائج.

١ـ تأسست دعوة الوثائق الأزهرية إلى الحرية الدينية على فهم مقاصد الشريعة الإسلامية وإدراك روح التشريع الدستوري الحديث، والعمل بمقتضيات التقدم المعرفي الإنساني.

٢ ـ ضبط الحرية الدينية مرهون بالتزام الأوامر الإلهية، وعدم الانسياق وراء الشهوات الجسدية، والمنع من إلحاق الضرر بالنفس أو الغير.

٣ ـ تظهر الحرية الدينية في حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحماية أماكن العبادة وحرية المناقشات الدينية.

٤ ـ كشفت دعوة الوثائق الأزهرية إلى الحرية الدينية عن سعيها إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة وتجريم مظاهر الإكراه في الدين، واحترام التعددية ورعاية حق الاختلاف، ورفض نزعات الإقصاء والتكفير.

ثانيا: التوصيات.

١ ـ صياغة قانون الحرية الدينية المستمد من الشريعة الإسلامية بصورة عصرية تتناسب مع التقدم المعرفي الإنساني.

٢ ـ مواكبة الأحداث ورعاية التطورات في تناول المفاهيم السائدة مع التمسك بالضوابط الشرعية.

٣ ـ تصحيح المفاهيم الدينية التي تنتشر بين الناس حرصا على وحدة الأمة وجمع كلمتها وحمايتها من أصحاب الأغراض الفاسدة.

أهم المصادر والمراجع.

القرآن الكريم.

الأزهر في ألف عام: د/ محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الثانية، عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٨هـ.

الإسلام بين العلم والمدنية: الإمام/ محمد عبده، دار كلمات بالقاهرة ٢٠١١م.

الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث: عبدالمنعم بركة، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٩٠م.

الأموال: الإمام/ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي، تحقيق: خليل هراس، دار الفكر بيروت.

الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني: حسن الزين، دار الفكر الحديث بيروت ١٩٨٨م.

تاج العروس من جواهر القاموس: الإمام/ محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت١٤١٤هـ.

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: الإمام/ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الطبعة الثانية، دار التراث – بيروت ١٣٨٧هـ.

تأصيل قضايا الدعوة الماهية والأهمية والكيفية: د/ إسماعيل محمد حنفي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ١٣ صفر ١٤٣٠هـ= فبراير ٢٠٠٩م.

التعريفات: الإمام/ علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن: الإمام/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (٣/ ٢٧٩)، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم: أ. د/ محمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ١٩٩٨م.

التواصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب: د/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

الجرائم الماسة بحرية التعبير عن الفكر: نوال طارق إبراهيم العبيدي، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان الأردن ٢٠٠٩م.

الحرية الدينية في الإسلام بين الشريعة والعقيدة: د/ نصر محمد الكيلاني، العدد الثاني، مجلة كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها: أ. د/ محمد الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد:٢٧، العدد الأول ٢٠١١م.

الحرية في الإسلام: د/ علي عبدالواحد وافي، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨م.

الحرية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية: الباحث/ محمد طه عليان، رسالة ماجستير بجامعة القدس – فلسطين ١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م.

حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

الخراج: الإمام/ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.

الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د/ محمد عبد الله دراز، الطبعة الأولى، دار القلم بالكويت ومطبعة الحرية بيروت، بدون تاريخ.

زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام/ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط/ ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار بالكويت ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.

زهرة التفاسير: الإمام/ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٧م.

سنن ابن ماجه: الإمام/ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

سنن أبي داود: الإمام/ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: الشيخ/ شعَيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

السيرة النبوية: الإمام/ عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

صحيح البخاري= الجامع الصحيح المختصر: الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: الإمام/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

فيض القدير شرح الجامع الصغير: الإمام/ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٦هـ.

قاموس مصطلحات الوثائق والأرشيف: د/ سلوى علي ميلاد، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٢م.

الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا، ط/٤، جمعية الكتاب المقدس في لبنان ١٩٩٥م.

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: الإمام/ محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د/ علي دحروج، ترجمة: د/ عبد الله الخالدي، ط/١، مكتبة لبنان بيروت ١٩٩٦م.

لسان العرب: للإمام/ محمد بن مكرم بن منظور، ط/٣، طبعة دار صادر بيروت ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.
المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: الإمام/ محمد أبو زهرة، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع بالرياض ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.
مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله الحيدر آبادى، صـ: ١٧٦، الطبعة الرابعة، دار النفائس ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.
المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم: د/عوض الله جاد حجازي، ط/٦، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، بدون تاريخ.
مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام/ أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني، تحقيق: الشيخ/ أحمد محمد شاكر، ط/١، دار الحديث القاهرة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، الطبعة الأولى، عالم الكتب ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط/٤، مكتبة الشروق الدولية١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: الإمام/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د/محمد عبادة، ط/١، مكتبة الآداب بالقاهرة١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.
معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
المفردات في غريب القرآن: الإمام/ الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط/١، دار القلم، دمشق بيروت ١٤١٢هـ.
مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: الأستاذ/ علال الفاسي، الطبعة الخامسة، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م.

مقاصد الشريعة الإسلامية: الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق/ محمد الطاهر الميساوي، ط/٢، دار النفائس بالأردن ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.
مناهج البحث العلمي: د/ عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية.
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام/ محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٢هـ.
الموافقات في أصول الشريعة: الإمام/ إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، دار ابن عفان١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.
الموجز في الحقوق في الإسلام: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت عمّان ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.
موسوعة المدن والمواقع في العراق: بشير يوسف فرنسيس، الطبعة الأولى، نشر شركة إي كتب البريطانية لندن ٢٠١٧م.
وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك: هدية هيئة كبار العلماء مع مجلة الأزهر الشريف، شهر رجب ١٤٤٠هـ = مارس ٢٠١٩م.
https://www.azhar.eg بوابة الأزهر الإليكترونية.